



Wissam Shahleh



1 ي •

تعديل على، (رمضان 2014 - بداية الانقسام الداخلي)

توقعنا نحن المحاصرين، أن رمضان عام 2014 سيمضي بهدوء، بعد عدة رمضانات مليئة بالأحداث، وبعد تحول الحصار من حصار التام إلى جزئي، وبدأنا نشعر بالشعب بعد أن جرت اتفاقيات تهدئة في المنطقة. إلا أن البداية الهادئة للشهر الكريم، كان الهدوء ما قبل العاصفة، فما سيجري بمنتصفه سنحصده المنطقة حتى آخر باص تهجير عام 2018.

استباقاً لأي عمل عسكري ضد التنظيم على غرار ما حدث في الغوطة الشرقية، بادر تنظيم الدولة في جنوب دمشق بمهاجمة مقرات جيش الإسلام في بلدة يلداء، ففي صباح يوم الخميس 17 تموز/يوليو عام 2014، تمكن التنظيم من السيطرة على مقر قيادة جيش الإسلام في بلدة يلداء وأسر عدة قيادات من الجيش أبرزهم: قائد الجيش (أبو عبد الرحمن الأربعين)، كما وأسر (أبو صالح الجعثوني) وهو قائد في كتائب شباب الهدى في المنطقة، وتمكن التنظيم من محاصرة كتيبة عائشة أم المؤمنين التابعة إلى جيش الإسلام في مقرها على أطراف بلدة يلداء، بالتالي، فقد سيطرة التنظيم بشكل فعلي على البلدة، بعد تحييد باقي الفصائل طبقاً.

في البداية، تمكن التنظيم من أحراز تقدم عسكري ونصر سريع، وسيطر على مقرات الجيش الأساسية، وذلك بسبب تردد قيادة الجيش بأوامر قتال التنظيم، في حين قام التنظيم بإجبار بعض الفصائل على اتخاذ موقف حيادي مما يجري، كما واستسلم قائد جيش الإسلام عند مقر الجيش (بحر 2) في بلدة يلداء لأجل منع سفك الدماء، ما أدى لسقوط مركزية الجيش. بينما بقيت بعض كتائب الجيش المتواجدة في يلداء وبيت سحم متماسكة عند الصدمة الأولى، ما لبث أن بدأت بتحريض فصائل المنطقة لأجل خوض معركة "لجم الباغية داعش"، وعلى الرغم من أن قيادة لواء أبابيل حوران اتخذت موقف الحياد (لأسباب لم تكن واضحة، لعل موقع قيادة اللواء وجبهاته العسكرية الملاصقة للتنظيم أحد الأسباب) في بداية المعركة، إلا أن كتائب جيش الإسلام برفقة لواء شام الرسول تمكنوا من قلب الكفة لصالحهم، وبدأوا انطلاقاً من بلدة بيت سحم معركة استعادة وتحرير بلدة يلداء من قبضة التنظيم، وبالفعل، تمكن الجيش الحر والفصائل الإسلامية من تحرير الأسرى (قاربة 10 أشخاص معظمهم قادة) بعد مفاوضات مع أبو صياح فرامة أمير التنظيم واستعادت بلدة يلداء بتاريخ 19 تموز/يوليو 2014، وتم طرد التنظيم إلى منطقة الحجر الأسود ومحاصرته في مربع جغرافي صغير داخل الحي، بالإضافة إلى استسلام قارية 80 عنصرًا (بوساطة ج.بهة النصر المتحالفة مع التنظيم سرًا في ذلك الوقت) في مربع أمني قرب جامع الصابرين في بلدة يلداء بعد أيام.

اصبحت نهاية التنظيم وشيكة، وكل من كان يراقب مسار الأحداث في تلك الحادثة كان مُدرك بأن استسلام أبو صياح فرامة لشروط الفصائل التي فرضت حصار عليه مسألة وقت لا أكثر، إلا أن قرار وقف حصار التنظيم من قبل قائد جيش الإسلام (أبو عبد الرحمن الأربعين) وبالتوافق مع معظم قادة الفصائل كان مفاجئاً وصادم، فقد انسحبت الفصائل وفكت الحصار عن التنظيم.

(التعديل)

(أجريت تعديل على مذكرته في السرد الأول، لأن شخصيتان موثوقتان تحدثتا معي، وفهمت منهما السياق العام لذلك القرار المفاجئ، وبالرغم مما أشيع في تلك الفترة على أن الأربعين أصدر "فتوى شرعية"، تبين أنها لم تكن فتوى بالمعنى الشرعي، إنما كان قرار بالتوافق الضمني بين الفصائل على قرار فك الحصار، وظفت كلمة "فتوى" آنذاك بشكل غير مفهوم، والتزاماً مني لعدم الوقوع في خطأ النقل في مشاهداتي الشخصي، واحتراماً لمكانة من تواصل، تم تعديل هذه الجزئية، لعدة أسباب معقدة جدًا، لست بصدد ذكرها في هذه المشاهدات، ومكانها ليس هنا).

كان قرار الانسحاب من حي الحجر الأسود، وفك الحصار عن التنظيم بمثابة الخطأ الاستراتيجي القاتل الذي ارتكبته الفصائل، خطأ كلف المنطقة مزيد من الدماء، واستنزاف قدرات الفصائل العسكرية والتي انعكست سلبيًا في ملف مفاوضاتها مع قوات النظام، كما كان هذا القرار كل ما يحتاجه أبو صياح فرامة، إذ أتاح له فرصة ذهبية للملزمة كيانه، وإعادة تجميع قواه، وعناصره في الحجر الأسود بعد استجلابهم من مخيم اليرموك بالاتفاق مع جبهة النصر، ثم بدأ في التوسع شيئًا فشيئًا، حتى عاد وُعث من جديد، وسيطرة على حي الحجر الأسود بشكلًا كامل.

